سجود الشكر

الدكتور / ســـــالم القرني

الأستاذ المساعد في كلية الشريعة، جامعة الملك خالد

ملخص: الحمد لله المستحق للعبادة وحده ، المتفرد بالألوهية والربوبية ، له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، والصلاة والسلام على خير عباد الله خير من صلى وسجد ، وقام وعبد ، بعث كالأنبيـــاء قبلـــه بتوحيـــد الألوهية،كما قال الله تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }(١) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، أمَّا بعد :

فإنّ الله – عزّوجل – خلق الخلق لعبادته كما قال – سبحانه – : { وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ }(٢) وعبادته – سبحانه – تتضمن كمال الذل له مع كمال الحب له بانقياد لأمره – سبحانه وتعالى – وخـــوف منه ورجاء فيما عنده ، ومحبة لأمره ، وبغض لما نهى عنه – سبحانه وتعالى – .

والعبادة أنواع كثيرة : فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج : أهم العبادات ، ومنها : صـــدق الحـــديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ... وأمثال ذلك .

إلاّ أنه يجب صرفها لله – تعالى – دون سواه ؛ لأنه – سبحانه – الخالق البارئ ، المصور ، الرازق ، المتفضل على عباده بالنعم الكثيرة التي لاتحصى ولاتعد ، فهو الرب وحده ، وهو المستحق للعبادة وحده ، وعبادتـــه شكراً له – سبحانه – ومِمَّا ورد في تحقيق شكره : السجود .

وسجود الشكر من العبادات التي شرعت بفعل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – فيسنّ الاقتداء به في هـــذه العبادة عند هجوم نعمة – أي ورودها من حيث لايحتسب (في وقت لم يتيقن وجودها فيه) ، وإن كـــان متوقعاً لها ، بحيث لاتنسب لتسببه عادة كالولد ، والعافية ، ونحو ذلك .

---

(١) سورة النحل : من الآية ٣٦ .

(٢) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

وخرج بالهجوم :النعم المستمرة والإسلام والغنى عن الناس ونحو ذلك، أو رؤية مبتلى في نحو عقله ، أو بدنه ، أو رؤية نحو عاص مجاهر بمعصية ، ولو بارتكاب صغيرة من غير إصرار ، إذا كان غير مصاب بمثل بلوتـــه ، بأن كان سليماً أو مصاباً بأخف منها ، ولو من نوعها(٣) .

وهذه المسألة من توحيد العبادة ، وهي من شكر الجوارح المبني على الاعتـــراف بنعمـــة الله – تعـــالى – ، والخضوع والذل له – سبحانه – وإظهار فضله ونعمته ، فالشكر بالقلب وباللسان وبالجوارح .

فأردت أن أبين ما ورد في هذا الموضوع من مكانة السجود لله ، وأقوال العلماء في حكمه ومعرفة السنة فيه ، وترك البدعة من جنسه ، مثل صلاة الشكر التي لم أجد فيها دليلاً صحيحاً عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَــيْهِ وَسَلَّمَ – ، فكان البحث على النحو التالي :

١ – التعريف بالسجود في اللغة والشرع .

٢ – أنواع السجود .

٣ – قسما السجود : السجود لله ، والسجود لغيره .

٤ – سجود القلب .

٥ – مترلة سجود الشكر .

٦ – ما ورد في سجود الشكر .

٧ – حكم سجود الشكر .

٨ – صفة سجود الشكر ، والفرق بينه وبين سجود التلاوة .

٩ – هل يكون سجود الشكر لمجرد الاستغفار ؟

١٠ – هل يستحب إظهاره أم إخفاؤه ؟

١١ – هل يسجد للشكر لأمر يخصه أم لأمر يخص عامة الناس ؟

١٢ – فعله مع تعدد أسبابه .

١٣ – ما يحرم من سجود الشكر .

(٣) انظر : نهاية الزين للجاوي ص ٨٨ .

١٤ - صلاة الشكر .

١٥ - نتائج البحث .

أسأل الله العون والتوفيق لاتباع السنة وإظهارها ، وترك البدعة ، ومحاربتها ، فهو الهادي إلى سواء السـبيل ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

الباحث

مقدمة

التعريف بالسجود :

أولاً : في اللغة :

السجود : أصله التطامن والميل، والخضوع والتذلل ، فهو غاية الخضوع ، مأخوذ من سجد يسجد سجوداً ، وهو : وضع الجبهة بالأرض(٤) .

وسجد سجدة ، وما أحسن سجدته أي : هيئة سجوده(٥) .

وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد(٦) ، والمساجد : الآراب – الأعضاء – التي يسجد عليها ، والآراب السبعة مساجد(٧) .

قيل في قوله تعالى : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ } هي : مواضع السجود من الإنسان : الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان(٨) .

والمسجد من الأرض : موضع السجود(٩) .

وأصل السجود : الانحناء لمن تعظمه ، فكل منحن لشيء تعظيماً له فهو ساجد(١٠) .

قال الله تعالى : { وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }(١١)

((وهو أن السجود أغلب ما يجيء عبارة عن المصدر ، والمراد به هاهنا الجمع ، فلو عطف بالواو لتوهم أنه يريد السجود الذي هو المصدر دون الاسم الذي هو النعت))(١٢) .

---

(٤) انظر : تهذيب الأسماء واللغات ١٤٤/٣ ، ولسان العرب ٢٠٤/٣ ، ومختار الصحاح ص ٢٨٦ ، والمصباح المنير ٣١٦/١ ، والمشوف المعلم ٣٨٥/١ .

(٥) انظر : لسان العرب ٢٠٦/٣ .

(٦) انظر : لسان العرب ٢٠٤/٣ .

(٧) انظر : لسان العرب ٢٠٤/٣ ، ٢١٠/١ ، ومختار الصحاح ص ٢٨٦ ، والقاموس المحيط ، باب س ج د .

(٨) انظر : لسان العرب ٢٠٥/٣ ، وتفسير أبي السعود ٤٦/٩ ، وتفسير القرطبي ٢٠/١٩ .

(٩) انظر : لسان العرب ٢٠٥/٣ .

(١٠) انظر : إغاثة اللهفان لابن القيم ٣٠٨/٢ ، والقاموس المحيط ، مادة (س ج د) .

(١١) سورة البقرة : من الآية ١٢٥ .

(١٢) بدائع الفوائد ٦٩/١ .

وقيل في معنى قوله – تعالى – : { وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا }(١٣) أي : خروا لله سجداً ، فيكون سجد هنا بمعنى خضع ، ومنه سجود الصلاة ، وهو وضع الجبهة على الأرض ، ولا خضوع أعظم منه .

فكل من ذل لما أمر به فقد سجد ، ومنه قول الله تعالى : { يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ }(١٤) أي : خضعاً(١٥) ، فيكون السجود على جهة الخضوع والتواضع ، كقوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ }(١٦) .

ثانياً : في الشرع :

أمَّا السجود في الشرع:فهيئة مخصوصة(١٧) تتضمن وضع الجبهة على الأرض وبقية الأعضاء السبعة ، مع كمال الخضوع والذل لله – تعالى–أو((وضع الأعضاء السبعة فوق ما يصلى عليه من أرض أو غيرها))(١٨) فالسجود اسم جنس ، وهو كمال الخضوع لله ، وأعز ما في الإنسان وجهه ، فوضعه على الأرض لله ؛ غاية خضوعه ببدنه ، وهو غاية ما يقدر عليه من ذلك ، ولهذا قال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء))(١٩) .

والسجود ينقسم إلى خاص وعام .

قال الله – تعالى – في السجود الخاص : { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ }(٢٠) ، وقال في العام : { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ }(٢١) .

---

(١٣) سورة يوسف : الآية ١٠٠ .
(١٤) سورة النحل : من الآية ٤٨ .
(١٥) لسان العرب ٢٠٦/٣ .
(١٦) سورة الحج : من الآية ١٨ .
(١٧) المصباح المنير ٣١٦/١ .
(١٨) نهاية الزين للجاوي ص ٦٨ .
(١٩) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٠/١ ، حديث رقم ٢١٥ .
(٢٠) سورة الزمر : من الآية ٩ .
(٢١) سورة الرعد : الآية ١٥ .

ولهذا كان السجود الكره غير السجود المذكور في قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ }(٢٢) .

فخص بالسجود في الآية الأخيرة كثيراً من الناس وعمهم بالسجود في سورة النحل { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلاَئِكَةُ }(٢٣) .

وهو سجود الذل والقهر والخضوع ، فكل أحد خاضع لربوبيته ذليل لعزته مقهور تحت سلطانه – تعالى(٢٤) – .

والسجود أنواع :

الأول : سجود إعظام : كما في قوله – تعالى – : { وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا }(٢٥) ، فهذا سجود إعظام لا سجود عبادة ؛ لأن بني يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله – عزّوجل – .

وقال الزجاج : ((إنه كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم))(٢٦) .

فظاهر الآية السابقة أنهم سجدوا ليوسف تعظيماً من غير أن يكونوا أشركوا بالله شيئاً ، وكأنهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله – عزّوجل – فلايجوز لأحد أن يسجد لغير الله(٢٧) ، لقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((لايصلح لبشر أن يسجد لبشر))(٢٨) ، وفي رواية : ((إنه لاينبغي في أمة أن يسجد أحد لأحد ...))(٢٩) ، وله شواهد صحيحة .

الثاني : سجود تحية ، كما في قوله – تعالى – للملائكة : { فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ }(٣٠) فهذا سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة(٣١) ، ومنه قول الشاعر : ملك تدين له الملوك

(٢٢) سورة الحج : من الآية ١٨ .
(٢٣) سورة النحل : من الآية ٤٩ .
(٢٤) انظر : مدارج السالكين ١٠٦/١ ، ١٠٧ .
(٢٥) سورة يوسف : الآية ١٠٠ .
(٢٦) لسان العرب ٢٠٤/٣ ، وانظر : تفسير الطبري ٦٦/١٣ .
(٢٧) انظر : لسان العرب ٢٠٤/٣ .
(٢٨) أورده الضياء المقدسي في المختارة وقال : ((حسن)) (٢٦٦/٥) .
(٢٩) أورده الضياء المقدسي في المختارة (١٣١/٦) وقال : ((إسناده حسن)) .
(٣٠) سورة الحجر : ٢٩ - ٣٠ .

وتسجد... ....وقيل في سجود بني يعقوب : { وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا }(٣٢) أن سجودهم تحية لا عبادة ، وأن معنى الخرور في هذه الآية : المرور لا السقوط والوقوع(٣٣) .

الثالث : سجود شكر : يدل عليه الوجه الآخر لأهل العربية في قوله تعالى : { وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا }(٣٤) وهو أن يجعل اللام في قوله : { وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا }(٣٥) وفي قوله : { رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ }(٣٦) لام من أجل ؛ المعنى : وخروا من أجله سجداً لله شكراً لما أنعم الله عليهم ، حيث جمع شملهم وتاب عليهم وغفر ذنبهم وأعز جانبهم ، ووسع بيوسف – عليه السلام – وهذا كقولك : فعلت ذلك لعيون الناس ؛ أي : من أجل عيونهم .

وقوله تعالى : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا }(٣٧) قال أبو إسحاق : ((السجود عبادة لله لا عبادة لآدم ؛ لأن الله – عزّوجل – إنّما خلق ما يعقل لعبادته))(٣٨) .

وهذا من النوع الذي يليه وهو :

النوع الرابع : سجود العبادة ، وهو قسمان :

الأول : السجود لله : ((غاية ما يتوصل به العبد إلى رضا الرب ولايصلح إلاّ له – سبحانه –))(٣٩) .

والسجود لله من أفضل العبادات لما ورد في السنة ، من ذلك قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – السابق : ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)) .

وقول ثوبان – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – : ((عليك بالسجود فإني سمعت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول : ما من عبد يسجد لله سجدة إلاّ رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة))(٤٠) .

---

(٣١) انظر : تفسير الطبري ٣١/١٤ .
(٣٢) سورة يوسف : الآية ١٠٠ .
(٣٣) انظر : لسان العرب ٢٠٦/٣ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٧٧/١ ، وتفسير القرطبي ٢٦٤/٩ .
(٣٤) سورة يوسف : الآية ١٠٠ .
(٣٥) سورة يوسف : الآية ١٠٠ .
(٣٦) سورة يوسف : من الآية ٤ .
(٣٧) سورة البقرة : من الآية ٣٤ .
(٣٨) لسان العرب ٢٠٤/٣ .
(٣٩) إغاثة اللهفان لابن القيم ٢٩٣/٢ .
(٤٠) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٣٢١/٨ ، وابن حبان في صحيحه ٢٧/٥ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة من

قال حنبل : ((قلتُ لأبي عبدالله : ما أحب إليك ما يتقرب به العبد من العمل إلى الله ؟ قال : كثرة الصلاة والسجود وأقرب ما يكون العبد من الله إذا عفر وجهه له ساجداً))(٤١) .

الثاني : السجود لغير الله :

وهو ما كان لغير تحية أو إعظام قبل شريعة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإن هذا مستثنى قبل على ما سبق ، ومحرم بعد وشرك ، وهو من قوله : ((سجدت لفلان)) فإن ذلك ذل وخضوع وعبودية لغير الله تعالى ؛ لأن وضع الناصية بين يدي غير الله ، وخضوعها لغير عظمة الله ، وتذللها لغير عزّة الله ، وإن زعم صاحبه أنه يضع رأسه بين يدي شيخه أو السجود له من طاغوت أو غيره .

وهو من أبلغ أنواع العبودية لغير الله ؛ لأنّ الساجد إنَّما يقصد الخضوع لمن فوقه بالذل ، وقد نهى عنه الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وقال : ((لاينبغي لأحد أن يسجد لأحد)) كما سبق .

ولما رأى معاذ النصارى يسجدون لأساقفتهم ... واليهود لأحبارهم ... وقالوا : هذه تحية الأنبياء ، ورأى أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أحق بذلك .

فقال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((إنهم كذبوا على أنبيائهم ... لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ...))(٤٢) .

وتحريم هذا معلوم من الدين بالضرورة .ومعلوم أن المؤمن لايقصد السجود إلاّ لله – تعالى – ، وأكثر الناس قد لايعلمون .

ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل ؛ وإن لم يقصد الساجد ذلك لما فيه من مشابهة السجود لغير الله

السنن الكبرى ٢٤٢/١ ، وفي المجتبى في كتاب التطبيق ، باب : ثواب من سجد لله ـ عزّوجل ـ سجدة ، وصححه الألباني ، وأخرجه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة ، باب : ماجاء في كثرة الركوع والسجود وفضله ٢٣١/٢ حديث رقم ٣٨٨ ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ، باب : ماجاء في كثرة السجود ٤٥٧/١ .

(٤١) بدائع الفوائد لابن القيم ٩٢٢/٤ .

(٤٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٧٢/٤ ، وقال : ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)) ، وأبو داود عن قيس بن سعد في كتاب النكاح ، باب : في الرجل يشترط لها دارها ، وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ، وأحمد في المسند (٤٨١/٤) ، وغيرهم .

أمَّا السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله ؛ كما قال – سبحانه وتعالى – : { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ }(٤٣) ومن يظن أن السجود لغير الله فيه بركة تحصل له بها السعادة فهو جاهل ضال عن الحق في عقله خلل .

فالسجود من خصائص الإلهية ، فمن سجد لغير الله فقد شبه المخلوق به – سبحانه(٤٤) – وليس السجود شراً من حيث ذاته ووجوده ، فإذا أضيف إلى غير الله كان شراً بهذه النسبة والإضافة ، وكذلك كل ما وجوده كفر وشرك إنَّما كان شراً بإضافته إلى ما جعله كذلك ، كتعظيم الأصنام ...(٤٥) .

ومن السجود لله : سجود الصلاة ، وسجود التلاوة وسجود الشكر والسجود عند الآيات المخيفة ، لحديث ((إذا رأيتم آية فاسجدوا)) (٤٦) إن صحّ .

ومن معاني السجود لله : انكسار القلب وذله بين يدي ربه – سبحانه – .

قيل لبعض العارفين : أيسجد القلب ؟ قال : نعم ، يسجد سجدة لايرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء .

قال ابن القيم – رَحِمَهُ اللهُ – : ((فهذا سجود القلب ، فقلب لاتباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه))(٤٧) . فإذا سجد القلب لله هذه السجدة العظمى سجدت معه جميع الجوارح ، وعنَّ الوجه حينئذٍ للحي القيوم ، وخشع الصوت والجوارح كلها ، وذل العبد وخضع واستكان ، ووضع خده على عتبة العبودية(٤٨) .

وسجود القلب أنواع منها :

الأول : سجود القلب في الطاعة العامة وهو الخشوع ، والطمأنينة :

---

(٤٣) سورة الزخرف : الآية ٤٥ .
(٤٤) انظر : الجواب الكافي لابن القيم ص ٩٥ .
(٤٥) انظر : شفاء العليل ص ١٨٢ .
(٤٦) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : السجود عند الآيات (٢/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٤٣/٣) ، والترمذي في كتاب المناقب ... باب : فضل أزواج النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال : ((هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلاَّ من هذا الوجه)) (٧٠٧/٥) .
(٤٧) مدارج السالكين ٤٢٩/١ .
(٤٨) انظر : مدارج السالكين ٤٢٩/١ .

فالسجود في الطاعة من أفضل الأحوال ؛ لأن العبد فيه أقرب ما يكون إلى الله ، ولهذا كان الدعاء في هــذا المحل أقرب إلى الإجابة . ولما خلق الله – سبحانه – العبد من الأرض كان جديراً بأن لايخرج عن أصله ، بل يرجع إليه إذا اقتضاه الطبع والتنفس بالخروج عنه .فإن العبد لو ترك لطبعه ودواعي نفسه لتكبر وأشر وخرج عن أصله الذي خلق منه ، ولوثب على حق ربه من الكبرياء والعظمة فنازعه إياهما .وأمر بالسجود خضوعاً لعظمة ربه وفاطره ، وخشوعاً له من الهفوة والغفلة والإعراض الذي خرج به عن أصله.فتمثل لـــه حقيقـــة التراب الذي خلق منه ، وهو يضع أشرف شيء منه وأعلاه وهو الوجه.وقد صار أعلاه أسفله خضوعاً بـــين يدي ربه الأعلى وخشوعاً له وتذللاً لعظمته ، واستكانة لعزته .

وهذا غاية خشوع الظاهر ؛ فإن الله – سبحانه – خلقه من الأرض التي هي مذللة للوطء بالأقدام ، واستعمله فيها ورده إليها ، ووعده بالإخراج منها ،{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى }(٤٩) فهي أمه وأبوه وأصله وفصله ، فضمته حياً على ظهرها وميتاً في بطنها وجعلت له طهراً ومسجداً ، فـــأمر بالسجود إذ هو غاية خشوع الظاهر ، وأجمع العبودية لسائر الأعضاء ، فيعفر وجهه في التـــراب اســتكانة وتواضعاً وخضوعاً وإلقاء باليدين .

ولأن السجود على أكمل الهيئة وأبلغها في العبودية لله وأعمها لسائر الأعضاء بحيث يأخذ كل جزء من البدن بحظه من العبودية(٥٠) .

والثاني : سجود القلب وخضوعه شكراً لله – تعالى – : ومن ذلك ما ذكر عبدالله بن المبارك أن النجاشـــي أرسل ذات يوم إلى جعفر وأصحابه – رضي الله عنهم – فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان جالس على التراب ، قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما رأى ما في وجوهنا ، قال : إني أبشركم بما يسركم : إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله قد نصر نبيه ، وأهلك عدوه ، وأسر فـــلان وفلان ، وقتل فلان وفلان ، التقوا بواد يقال له بدر ، كثير الأراك كأني أنظر إليه ، كنت أرعى به لسيدي : رجل من بني ضمرة ، فقال له جعفر : ((ما بالك جالساً على التراب ليس تحتك بساط ، وعليـــك هـــذه

(٤٩) سورة طه : الآية ٥٥ .
(٥٠) انظر : الصلاة وحكم تاركها ص ٢٠٩ .

الأخلاق ، قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى – عليه السلام – أن حقاً على عبـاد الله أن يحـدثوا لله تواضعاً عندما أحدث لهم من نعمة فلما أحدث الله لي نصر نبيه أحدثت لله هذا التواضع))(٥١) .

مترلة السجود :

السجود لله – تعالى – عبادة عظيمة وخضوع وذل لله وشكر له – سبحانه – ، بل من أعظم أفعال العبادة المقربة إلى الله ، ومن أعلى مقامات الخضوع لله والذل له – تعالى – ومن أخص العبادات والأفعـال كمـا يتضح من قول الله تعالى : { يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ }(٥٢) فقد اشتملت الآية على مطلق العبادة ، وتفصيلها فذكر الأعم ثم ما هو أخص منه ، ثم ما هو أخص من الأخص .

((فذكر القنوت أولاً وهو الطاعة الدائمة فيدخل فيه القيام والذكر والدعاء ، وأنواع الطاعة ثم ذكر ما هـو أخص منه وهو السجود الذي يشرع وحده كسجود الشكر والتلاوة ويشرع في الصلاة فهو أخـص مـن مطلق القنوت ...))(٥٣) .

ونظيرها : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }(٥٤) فذكر أربعة أشياء أخصها الركوع ثم السجود أعم منه ثم العبادة أعم من السجود ثم فعل الخير العام المتضمن لذلك كله .

ومِمَّا يدل على مترلة السجود وفضله :

١ – أن المذنبين الذين رجحت سيئاهم على حسناهم فخفت موازينهم فاستحقوا النَّار ، من كان منهم من أهل لا إله إلاَّ الله فإن النَّار تصيبه بذنوبه ويميته الله في النَّار إماتة فتحرقه النَّار إلاَّ موضع السجود ثم يخرجه الله من النَّار بالشفاعة ويدخله الجَنَّة كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة(٥٥) .

---

(٥١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٥٣ ، وابن أبي الدنيا في الشكر من طريق عبدالله بن المبارك . يراجع : كتاب الشكر ، بتحقيق : بدر البدر ص ٤٥ .

(٥٢) سورة آل عمران : الآية ٤٣ .

(٥٣) انظر : بدائع الفوائد ٨٨/١ .

(٥٤) سورة الحج : الآية ٧٧ .

(٥٥) انظر : مجموع الفتاوى ٤١٥/١٤ .

كما حدث أبو هريرة وأبو سعيد في حديث الشفاعة أن النبي – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : ((فأكون أول من يجيز فإذا فرغ الله – عزّوجل – من القضاء بين خلقه ، وأخرج من النّار من يريد أن يخرج أمـر الله الملائكة والرسل أن تشفع فيعرفون بعلاماتهم إن النّار تأكل كل شيء من ابن آدم إلاّ موضـع السـجود ، فيصب عليهم من ماء الجنَّة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل))(٥٦) .

وفي ذلك بيان منزلة السجود من العبادة وإكرام الله لمواضع السجود في العبد .

٢ – أول سورة أنزلت على رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سورة اقرأ على الأصح وختمها بقوله : { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ }(٥٧) .

٣ – أن السجود لله يقع من المخلوقات كلها علويها وسفليها .

٤ – أن الساجد أذل ما يكون لربه وأخضع له ، وذلك أشرف حالات العبد ، فلهذا كان أقرب ما يكـون من ربه في هذه الحال .

٥ – أن السجود هو سر العبودية ، فإن العبودية هي الذل والخضوع يقال : طريق معبد ، أي : ذللته الأقدام ووطأته وأذل ما يكون العبد وأخضع إذا كان ساجداً .

٦ – أن الساجد يضع أشرف شيء فيه وهو وجهه على التراب خشوعاً لربه واستكانة وخضوعاً لعظمتـه وذلاً لعزته منكسراً قلبه لله شاكراً لأنعمه ، قد ذل جسمه وخشعت له جوارحه(٥٨) .

ولذا كان النبي – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لايتقي الأرض بوجهه قصداً بل إذا اتفق له ذلك فعله ولذلك ((سجد في الماء والطين))(٥٩) .

٧ – ومِمَّا يدل على منزلته وفضله ((أن الشيطان إذا رأى ابن آدم ساجداً لله اعتزل ناحية يبكي ويقول : يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنَّة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار))(٦٠) .

(٥٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٢٤٣/١ ، في كتاب التطبيق ، باب موضع السجود ، وأخرجه أيضاً في الصغرى ((المجتبى)) في كتاب التطبيق ، باب موضع السجود ، وقاله عنه الألباني - رحمه الله - : ((صحيح)) .
(٥٧) سورة العلق : من الآية ١٩ .
(٥٨) انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/٢ .
(٥٩) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الجماعة والإمامة ، باب : هل يصلي الإمام بمن حضر وهل يخطب يوم الجمعة في المطر (٢٣٨/١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب : فضل ليلة القدر (٨٢٦/٢) .

٨ – أن الله أثنى على الذين يخرون سجداً عند سماع كلامه وذم من لايقع ساجداً عنده ، ولذلك كان قول من أوجبه قوياً في الدليل ، ولما علمت السحرة صدق موسى وكذب فرعون خروا سجداً لربهم فكانت تلك السجدة أول سعادتهم وغفران ما أفنوا فيه أعمارهم من السحر .

٩ – أنه لما كانت العبودية غاية كمال الإنسان وقربه من الله بحسب نصيبه من عبوديته ، كان السجود من أفضل العبادات الفعلية لمناسبة حال الساجد الذي قد انحط إلى السفل على وجهه فذكر علو ربه في حال سقوطه وذكر نعمه وفضله ومنّه وكرمه في حال خضوعه وقربه منه – سبحانه – .

ولذلك شرع الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سجود الشكر بفعله عبودية لله – عند حصول نعمة أو دفع نقمة – وقربة إليه وخضوعاً لعظمته وتذللاً بين يديه .

ما ورد في سجود الشكر :

وردت أحاديث بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها فيه ضعف ، ومجموعها ممَّا تقوم به الحجة أنّ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سجد سجدة الشكر في مواضع ، ولم يرد في ذلك غير فعله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وما بينه في بعض مواضع سجوده أنها كانت شكراً لله .

وممَّا ورد في فعله – عليه الصلاة والسلام – وفعل الصحابة :

١ – عن أبي بكرة – رضي الله عنه – قال : كان النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((إذا أتاه الشيء يسره خرّ ساجداً شكراً لله – تعالى –))(٦١) .

وعند ابن ماجه : ((كان إذا أتاه أمر يسره أو يسر به خرّ ساجداً ، شكراً لله – تبارك وتعالى –))(٦٢) .

---

(٦٠) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٧/١) .

(٦١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب في سجود الشكر ، وصححه الألباني ، وأخرجه الدارقطني في سننه ٤١٠/١ ، ٤٧/٤ ، باب السنة في الشكر ، من طريقين عن أبي بكرة ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢٤٣/١ ، والمحاملي بنحوه في أماليه ص ٣٥١ ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٤٦ ، وابن الجوزي في أحاديث الخلاف ٤٣١/١ .

(٦٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ، باب ماجاء في الصلاة والسجدة عند الشكر ٤٤٦/١ ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٥٠ بتحقيق محمد زغلول ، والحاكم في المستدرك ٢٧٦/١ ، وقال : ((هذا حديث صحيح وإن لم يخرجاه ، فإن بكار بن عبدالعزيز صدوق عند الأئمة ، وإنَّما لم يخرجاه لشرطهما في الرواية كما ذكرناه فيما تقدم ، وليس لعبدالعزيز بن أبي بكرة رواة غير ابنه ، فقال : صالح الحديث ، ولهذا الحديث شواهد يكثر ذكرها ...)) إلخ ، وبنحوه أخرجه الترمذي في كتاب السير ، باب ماجاء في سجدة الشكر ١٤٢/٤ ، وقال : ((هذا حديث حسن غريب

ولفظ أحمد : أنه شهد النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم ، ورأسه في حجر عائشة ، فقام فخرّ ساجداً فأطال السجود ثم رفع رأسه فتوجه نحو صدفته(٦٣) فدخل فاستقبل القبلة(٦٤) .

وعند المروزي في تعظيم الصلاة ((أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – أتاه فتح فسجد))(٦٥) .

٢ – وعن عبدالرحمن بن عوف قال : خرج النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – فتوجه نحو صدفته ، فدخل واستقبل القبلة فخرّ ساجداً ، فأطال السجود ثم رفع رأسه ، وقال : ((إن جبريل أتاني فبشرني فقال : إنّ الله – عَزَّ وَجَلَّ – يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله شكراً))(٦٦) .

٣ – عن سعد – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال : خرجنا مع رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – من مكة إلى المدينة ، فلما كنا قريباً من عزورا(٦٧) نزل ، ثم رفع يديه فدعا إليه ساعة ، ثم خرّ ساجداً ، ذكره أحمد ثلاثاً – قال : ((إني سألت ربي ، وشفعت لأمتي ، فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً شكراً لربي ، ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني ثلث أمتي ، فخررت ساجداً لربي شكراً ، ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجداً لربي))(٦٨) .

لانعرفه إلا من هذا الوجه فمن حديث بكار بن عبدالعزيز ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر ، وبكار بن عبدالعزيز بن أبي بكرة مقارب الحديث)) ، والبيهقي في الكبرى ، باب سجود الشكر ٣٧٠/٢ .

(٦٣) الصدفة من أسماء البناء المرتفع وهي كل بناء عظيم مرتفع . انظر : نيل الأوطار ١٢٩/٣ .

(٦٤) أخرجه أحمد في المسند ٤٥/٥ .

(٦٥) تعظيم الصلاة ٢٤٣/١ .

(٦٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩١/١ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٧/٢ :((رواه أحمد رجاله ثقات)) ، والحاكم بلفظ آخر في المستدرك آخر كتاب الدعوات ٥٥٠/١ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢٢٩/٦ ، ٢٥٤ ، ٣٢٦ ، والجهضمي في فضل الصلاة على النبي ٢٧/٢ ، ٢٩ ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢٤٩/١ ، وابن أبي الدنيا بنحوه في الشكر ص ٥٦ بتحقيق محمد زغلول ، وابن الجوزي في أحاديث الخلاف ٤٣١/١ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٧١/٢ .

(٦٧) موضع أو ماء قريب من مكة ، وقيل : ثنية المدينتين إلى بطحاء مكة ، وقيل : بثنية الجحفة بين مكة والمدينة . انظر : معجم البلدان (١١٩/٤) .

(٦٨) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب في سجود الشكر ، وقال : أشعب بن إسحاق ، أسقطه أحمد بن صالح ، حين حدثنا به ، فحدثني به عنه موسى بن سهل الرملي ٨٩/٣ ، فإسناده ضعيف كما قال الضياء في المختارة (١٧٩/٣) ، وقال :المنذري : ((وفي إسناده موسى بن يعقوب الزمعي ، وفيه مقال)) (عون المعبود ٣٢٩/٧) ،

٤ – عن معاذ بن جبل – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال : أقبلت إلى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإذا به قائم يصلي ، وسجد سجدة ظننت أن نفسه قبضت فيها ، فقلت : رأيتك يا رسول الله سجدت سجدة فظننت أن نفسك قد قبضت فيها ! قال : إني صليت ما كتب لي ربي ، فقال لي:يا محمد ما أفعل بأمتك ؟ قلت : يا رب أنت أعلم،قال:إني لن أخزيك في أمتك يا محمد،فسجدت لربي بها،وربك شاكر يحب الشكر))(٦٩)

٥ – عن عبدالرحمن قال : كان لايفارق رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – منا خمسة أو أربعة ، من أصحاب النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما ينوبه من حوائجه بالليل والنهار ، قال : فجئته وقد خرج فاتبعته فدخل حائطاً من حيطان الأسواف(٧٠) ، فصلى فسجد فأطال السجود وقلت : قبض الله روحه ، قال : فرفع رأسه فدعاني فقال : مالك ؟ فقلت : يا رسول الله أطلت السجود قلت قبض الله روح رسوله لا أراه أبداً ، قال : سجدت شكراً لربي فيما أبلاني في أمتي من صلى علي صلاة من أمتي كتب له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات))(٧١) .

٦ – وروى عن أنس بن مالك – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سرّ لحاجة فخرّ ساجداً(٧٢) .

٧ – وروي أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رأى رجلاً قصيراً يقال له زنيم فسجد ، وقال : الحمد لله الذي لم يجعلني مثل هذا(٧٣) .

٨ – وروي أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مرّ به رجل به زمانة فسجد وسجد أبو بكر وعمر(٧٤) .

وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢٤٧/١ ـ ٢٤٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٧٠/٢ .

(٦٩) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢٤٨/١ ، وأحمد بغير هذا اللفظ عن حذيفة ٣٩٣/٥ ،وفي سنده أحمد : ابن لهيعة وفيه كلام . انظر : مجمع الزوائد ٢٨٧/٢ .

(٧٠) اسم لحرم المدينة النبوية الذي حرمه رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ . انظر : معجم البلدان ١٩١/١ ، وعون المعبود ٧٠/٨ ، ومعجم ما استعجم ١٥١/١ .

(٧١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ١٦٤/٢ ، وقال الشيخ حسين أسد محقق المسند : ((إسناده ضعيف)) ، وأخرجه البزار في مسنده ٢١٩/٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٣/٢) : ((وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف)) .

(٧٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في الصلاة والسجدة عند الشكر ، من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف ، وابن الجوزي في أحاديث الخلاف ٤٣١/١ ، وفي سنده ابن لهيعة أيضاً .

(٧٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٢٨/٢ ، وهو مرسل وصله ابن حبان في الضعفاء في ترجمة يوسف بن محمد ابن المنكدر عن أبيه عن جابر .

(٧٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٢٨/٢ ، وهو مرسل من رواية يحيى بن الجزار العرني قال عنه ابن حجر في التقريب : ((صدوق رمي بالغلو في التشيع)) .

٩ – عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جده أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – كـان إذا رأى صاحب بلاء خرّ ساجداً(٧٥) .

١٠ – وعن جابر عن ابن حبان في الضعفاء أن رسول الله – صَـلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَـلَّمَ – رأى رجـلاً نغاشياً(٧٦)

فخرّ ساجداً ثم قال : أسأل الله العافية(٧٧) .

١١ – عن أبي جعفر أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – رأى رجلاً من النغاشين فخرّ ساجداً(٧٨) .

١٢ – وروي أن أبا بكر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – لما فتح اليمامة سجد(٧٩) .

١٣ – وروى مالك بن الحارث يقول : شهد علياً – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – يوم النهروان طلب المخدج فلم يُقدر عليه فجعل جبينه يعرق وأخذه الكرب ، ثم إنه قدر عليه فخرّ ساجداً فقال : ((والله ما كذبت ولا كذبت)) (٨٠) .

١٤ – ومِمَّا روي في ذلك أيضاً ((أن علياً سجد لما رأى ذا الثدية في الخوارج))(٨١) .

١٥ – وقيل لابن عباس ماتت فلانة – بعض أزواج النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – فخرّ ساجداً ، فقيـل له: أتسجد هذه الساعة ؟ فقال : قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ –:((إذا رأيتم آية فاسجدوا)) ، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ(٨٢) – .

(٧٥) أخرجه الخرائطي في فضيلة الشكر ، في سجود الشكر لله - عَزَّ وَجَلَّ - عند البشارة ص ٥٤ .

(٧٦) النغاش : القصير ، الضعيف الحركة ، الناقص الخلق . نيل الأوطار ١٢٨/٣ ، وفي الفائق ٧/٤ : ((هو أقصر ما يكون من الرجال)) . وانظر : أحاديث الخلاف ٤٣١/١ .

(٧٧) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ، باب سجود الرجل شكراً ٣٥٨/٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٧١/٢ .

(٧٨) أخرجه الدارقطني في سننه، باب السنة في سجود الشكر ٤١٠/١ ،وابن الجوزي في أحاديث الخلاف ٤٣١/١ ، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح ١٤٩٥/٢ .

(٧٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٢٨/٢ ، وعبدالرزاق في مصنفه في ذي الثدية ٣٥٨/٣ ، وهو بمجموع طرقه حسن .

(٨٠) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٦٧/٢ ، وقال : ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بذكر سجدة الشكر ، وهو غريب صحيح في سجود الشكر)) ، وابن أبي شيبة في المصنف ٢٢٨/٢ ، وابن الجعد في مسنده ص ٣٢٦ ، وبمعناه عن طارق بن زيادة في مسند أحمد ١٠٧/١ ، ١٤٧ ، وعن أبي الوضيء ١٣٩/١ ، ١٤١

(٨١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ، باب سجود الرجل شكراً ٣٥٨/٣ .

(٨٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب السجود عند الآيات ٢/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٤٣/٣ .

١٦ – ولما بشرت زينب بأن الله قد زوجها من نبيه – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – خرت ساجدة لله شكراً(٨٣) .

ولما تاب الله على كعب بن مالك خرّ ساجداً(٨٤) .

١٧ – عن ابن لكعب بن مالك قال : ((لما أتى كعب بن مالك الذي بشره بتوبته سجد وأعطى الذي بشره ثوبيه))(٨٥) .

١٨ – وعن كعب قال : سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر قال : فخررت ساجداً وعرفت أن الله قد جاء بفرج(٨٦) ، والقصة متفق عليها .

ولما بشر الحسين بموت الحجاج وهو مختف سجد(٨٧) .

وهذه الأحاديث ، والآثار ، والسنن ، تدل على مشروعية سجود الشكر ، والعقل أيضاً دلّ على ما دلت عليه هذه الأحاديث والآثار ، وذلك من وجهين هما :

أحدهما : أن سجود الشكر دلالة على تأكيد شكر المنعم على نعمته(٨٨) .

ثانيهما : أن العقلاء يهنئون بالسلامة من العارض ، ولايفعلونه في كل ساعة ، وإن كان الله يصرف عنهم البلاء والآفات ، ويمتعهم بالسمع والبصر والعقل والدين ، ويفرقون في التهنئة بين النعم الظاهرة والباطنة كذلك السجود للشكر(٨٩) .

قلتُ : مع أنه لا فرق بين فعله في النعم الظاهرة والباطنة .

---

(٨٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٢٨/٢ .

(٨٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله – عَزّ وَجَلّ – : { وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا } ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب ابن مالك وصاحبيه .

(٨٥) أخرجه الخرائطي في فضيلة الشكر ، في سجود الشكر لله – عَزّ وَجَلّ – عند البشارة ص ٥٤ ، وعبدالرزاق في مصنفه ٣٥٧/٣ ، باب سجود الرجل شكراً .

(٨٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : حديث كعب بن مالك ، وقول الله – عَزّ وَجَلّ – : { وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا } ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب : حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

(٨٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٥٥ ، بتحقيق : محمد زغلول .

(٨٨) انظر : المغني لابن قدامة ٣٦٣/١ ، وزاد المستقنع ٤٩/٢ ، والروض المربع ٢٣٠/١ ، والإنصاف ٢٠٠/٢ ، ومنار السبيل ١١٤/١ - ١١٥ .

(٨٩) انظر : كشاف القناع للبهوتي ٤٥٠/١ .

حكمه : بناء على ما ورد في سجود الشكر ، فقد أجمع العلماء على أنه ليس بواجب(٩٠) ، واختلفـوا في فعله هل هو مستحب أو غير مستحب ؟ بأن كان مباحاً أو مكروهاً .

القول الأول : أنه مستحب :

وقال باستحبابه : الإمام الشافعي والإمام أحمد والعترة وأبو ثور ، وابن المنذر ، وأهل الظاهر ، وغيرهم .

قال الإمام النووي : ((سجدة الشكر ... سنة عند مفاجأة نعمة أو اندفاع نقمة من لايحتسب ، وكـذا إذا رأى مبتلى ببلية ، أو بمعصية ، ولايسن عند استمرار النعم))(٩١) .

وفي الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد : ((قوله : ويستحب سجود الشكر : هذا هو المذهب مطلقاً وعليه الأصحاب))(٩٢) .

والذين قالوا باستحبابه يرون فعله عند تجدد النعم الظاهرة ودفع النقم الظاهرة أيضاً .

قال ابن حزم : ((مسألة سجود الشكر حسن إذا وردت لله – تعالى – على المرء نعمة فيستحب))(٩٣) .

القول الثاني : أن استحبابه خاص بأمير الناس لا غير ، وهذا كما قال بعض العلماء : ((غريب جداً))(٩٤)

القول الثالث : وكره بعضهم سجدة الشكر أو الفرح(٩٥) .

وهو المروي عن أبي حنيفة – رَحِمَهُ اللهُ – ومالك ، فقد روي عنهما كراهته إذ لم يؤثر عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ(٩٦) – .

قالوا : لأن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – كان في أيامه الفتوح واستسقى فسقي و لم ينقل أنه سجد ، ولو كان مستحباً لم يخل به(٩٧) .

---

(٩٠) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٩٣/٢١ .
(٩١) روضة الطالبين ٣٢٤/١ .
(٩٢) الإنصاف ٢٠٠/٢ .
(٩٣) المحلى لابن حزم ١١٢/٥ .
(٩٤) الإنصاف ٢٠٠/٢ .
(٩٥) انظر : المصنف لابن أبي شيبة ٢٢٨/٢ .
(٩٦) انظر : المبدع ٣٣/٢ ، والمغنى ٣٦٣/١ ، وحلية العلماء للشاشي ١٦٢/٢ .
(٩٧) انظر : المغني ٣٦٣/١ .

وقال في المدونة الكبرى:((سألت مالكاً عن سجود الشكر يبشر الرجل ببشارة فيخرّ ساجداً فكره ذلك))(٩٨) وسئل – رَحِمَهُ اللهُ – عن الرجل يأتيه الأمر يحبه فيسجد لله – عَزَّ وَجَلَّ – شكراً فقال : لايفعل ليس هـذا ممَّا مضى من أمر الناس ، قيل له : إنّ أبا بكر الصديق فيما يذكرون سـجد يـوم اليمامـة شـكراً لله . أفسمعت ذلك ؟ قال : ما سمعت ذلك ، وأنا أرى أن قد كذبوا على أبي بكر(٩٩) .

وفي رواية عن أبي حنيفة أنه مباح ؛ لأنه لم يؤثر(١٠٠) .

وقال الشوكاني – رَحِمَهُ اللهُ – : ((وإنكار ورود سجود الشكر عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – من مثل هذين الإمامين مع وروده عنه – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – من هذه الطرق ... من الغرائب))(١٠١) .

قال ابن القيم بعد ذكر بعض الآثار والسنن السابقة : ((ولا أعلم شيئاً يدفع هذه السنن والآثار ، مع صحتها وكثرتها غير رأي فاسد ، وهو أن نعم الله – سبحانه وتعالى – لاتزال واصلة إلى عبده فلا معنى لتخصـيص بعضها بالسجود ، وهذا من أفسد رأي وأبطله)) .

فإن النعم نوعان : مستمرة ومتجددة ، فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات ، والمتجددة شرع لها سجود الشكر شكراً لله عليها وخضوعاً له وذلاً في مقابلة فرحة النعم ، وانبساط النفس لها ، وذلك من أكبر أدوائها فإن الله – سبحانه – لايحب الفرحين ولا الأشرين ، فكان دواء هذا الداء الخضوع والذل والانكسار لـرب العالمين ، وكان سجود الشكر من تحصيل هذا المقصود ، ما ليس في غيره .

ونظير هذا : السجود عند الآيات التي يخوف الله بها عباده كما في الحديث السـابق : ((إذا رأيـتم آيـة فاسجدوا)) ، وقد فزع النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – عند رؤية انكساف الشمس إلى الصلاة ، وأمـر بالفزع إلى ذكره .

---

(٩٨) المدونة الكبرى ١٠٨/١ .
(٩٩) الموافقات للإمام الشاطبي ٤١٠/٢ .
(١٠٠) انظر : تحفة الأحوذي ١٦٧/٥ ، ونيل الأوطار ١٢٩/٣ .
(١٠١) نيل الأوطار ١٢٩/٣ .

ومعلوم أن آياته – تعالى – لم تزل مشاهدة معلومة بالحس والعقل ، ولكن تجددها يحدث للنفس من الرهبة والفزع إلى الله ما لاتحدثه الآيات المستمرة ، فتجدد هذه النعم في اقتضائها لسجود ؛ كتجدد تلك الآيات في اقتضائها للفزع إلى السجود ، والصلوات .

ولهذا لما بلغ فقيه الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – موت ميمونة زوج النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خرّ ساجداً ، فقيل له : أتسجد لذلك ؟ فقال : قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((إذا رأيتم آية فاسجدوا)) ، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من بين أظهرنا(١٠٢) .

فلو لم تأت النصوص بالسجود لكان هو محض القياس ومقتضى عبودية الرغبة ، كما أن السجود عند الآيات مقتضى عبودية الرهبة))(١٠٣) .

الراجح ، وأسباب الترجيح : أنه مستحب للأسباب الآتية :

١ – للأدلة الواردة في فعل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، له وفعل الصحابة في حياته وبعد مماته ، فقد تظاهرت نصوص السنة عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وكذلك أصحابه مع ورود الخبر السارّ عليهم بغتة ، وكانوا يسجدون عقبه .

٢ – لثبوت ظهوره وانتشاره من غير إنكار النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في حياته ، ولا إنكار الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من علماء الأمة .

٣ – أن تركه تارة لايدل على أنه ليس بمستحب فإن المستحب يفعل تارة ويترك أخرى .

٤ – أن إنكار ورود سجود الشكر عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من مثل أبي حنيفة ومالك – رَحِمَهُمَا اللهُ – مع وروده عنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الطرق المتعددة السابقة من الغرائب ، ولعله لم يصلهما شيء في ذلك .

---

(١٠٢) أخرجه أبو داود في السنن ، في كتاب الصلاة ، باب : السجود عند الآيات ، (٢/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، (٣/٣٤٣) ، كتاب صلاة الخوف ، باب : لايصلي جماعة عند شيء من الآيات غير الشمس والقمر .

(١٠٣) إعلام الموقعين ٢/٤١٠ .

ومِمَّا يؤيد ثبوت سجود الشكر ، قوله في الحديث في سجود آية (ص) : ((سجدها داود توبة ونسجدها شكراً))(١٠٤) .

قال الهيتمي : ((ويستحب سجود الشكر في قراءة آية ص في غير الصلاة ، للاتباع وشكراً على قبول توبة داود صلى الله على نبينا وعليه وسلم))(١٠٥) .

وقال : ((ويحرم فيها – أي الصلاة – سجود ص ، فإن سجد فيها عامداً عالماً بالتحريم بطلت صلاته .

وإن كان تابعاً لإمامه الذي يراها فيها أو ناسياً أو جاهلاً فلايسجد للسهو ، وإذا سجدها إمامه فارقه أو انتظره قائماً))(١٠٦) .

وقال صاحب الإنصاف : ((فعلى المذهب سجدة ص سجدة شكر فيسجد بها خارج الصلاة على كل رواية ، ولايسجد بها في الصلاة ، فإن فعل عالماً بطلت الصلاة على الصحيح من المذهب ، قدمه في الفروع والرعايتين وجزم به في المنور .

وقيل : لاتبطل . قال في الفروع : وهو أظهر ؛ لأن سببها من الصلاة))(١٠٧) .

واختلف العلماء في سجدة (ص) هل هي من سجدات التلاوة أم سجدة شكر ؟ .

فمنهم من قال : هي من سجدات التلاوة ، وهو أحد القولين المرويين عن ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١٠٨) – .

واستدل هؤلاء بمثل :

١ – ما رواه الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قال : رأيت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سجد في ص(١٠٩) .

---

(١٠٤) انظر : تحفة الأحوذي ١٦٨/٥ ، ونيل الأوطار ١٢٩/٣ ، والحديث أخرجه النسائي في الكبرى ٣٣١/١ ، وقال ابن كثير في تفسيره ٣١/٤ : ((ورجال إسناده كلهم ثقات)) ، وأخرجه الدارمي في سننه ٤٠٧/١ من طريقين .
(١٠٥) المنهج القويم ٢٧٥/٢ .
(١٠٦) المنهج القويم ٢٧٥/٢ .
(١٠٧) الإنصاف ١٩٦/٢ .
(١٠٨) انظر : تفسير ابن كثير ٣١/٤ ، ومعتصر المختصر لأبي المحاسن ٨٤/١ ، وشرح صحيح مسلم للنووي ٧٧/٥ .
(١٠٩) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٩/١ .

٢ – وعن السائب بن يزيد أن عثمان سجد في ص(١١٠) .

٣ – حديث عبدالرحمن بن عوف قال : سمعت أبا سعيد يقول : رأيت فيما يرى النائم كأني تحت شجرة ، وكأن الشجرة تقرأ ص ، فلما أتت على السجدة سجدت فقالت في سجودها : اللهم اغفر لي بها ، اللهم حط عني بها وزراً ، وأحدث لي بها شكراً ، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته ، فغدوت على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فأخبرته ، فقال : سجدت أنت يا أبا سعيد ؟ قلت : لا . قال : فأنت أحق بالسجود من الشجرة ، ثم قرأ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سورة ص ثم أتى على السجدة ، وقال في سجوده ما قالت الشجرة في سجودها(١١١) .

٤ – ما ذكر البخاري عند تفسيرها عن مجاهد قال : قلتُ لابن عباس : أسجد في ص ؟ فقرأ : { وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ } حتى أتى { فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ } فقال : نبيكم – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ممن أمر أن يقتدى بهم(١١٢) .

٥ – ما روي عن سعيد بن جبير أن عمر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال له : أتسجد في ص ؟ قلتُ : لا . قال : فاسجدها فيها فإن الله – تعالى – يقول : { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ }(١١٣) .

قلتُ : ظاهر هذا يدل على صحة سجود الشكر في الصلاة .

وأمَّا الفريق الثاني فيرى أنها ليست من سجدات التلاوة ، وإنَّما سجدة شكر لله – تعالى – وسجود الشكر لايشرع في الصلاة .

وهذا قول الإمام الشافعي – رَحِمَهُ اللهُ – والقول الآخر المروي عن ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١١٤) – واستدلوا بالروايات المتعددة منها :

(١١٠) أخرجه أحمد في مسنده ٧٣/١ .

(١١١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٣٠/٢ ، وقال محققه الشيخ حسين أسد : ((عبدالله بن سعد المزني وثقه ابن حبان وباقي رجاله ثقات)) ، وهو بنحوه في السنن المأثورة للشافعي ٣٦٩/٢ ، وفي سنن ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ... ، باب سجود القرآن ، ومسند الإمام أحمد ٧٨/٣ ، ٨٤ .

(١١٢) أخرجه البخاري في أبواب سجود القرآن ، باب سجدة ص ، وفي تفسير سورة ص ، (١٢٥٨/٣) .

(١١٣) أخرجه أبو المحاسن في معتصر المختصر ٨٤/١ .

(١١٤) انظر : فتح الباري ٥٥٣/٢ ، وتحفة الأحوذي ٤٣/٣ ، ومختصر المعتصر ٨٤/١ ،وتفسير ابن كثير ٣١/٤ ، وإعانة الطالبين للدمياطي ٢١٠/١ ، والمهذب للشيرازي ٨٦/١ .

١ – ما روي عن ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أنه قال : السجدة في ص ليست من عزائم السـجود ، وقد رأيت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – يسجد فيها(١١٥) .

٢ – ما روي عن عمر بن ذر عن أبيه قال : قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – في سـجدة ص:((سجدها داود توبة وسجدها شكراً))(١١٦) .

٣ – ما روي عن ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَـلَّمَ – سـجد في ص ، وقال : ((سجدها داود توبة ، ونسجدها شكراً)) .

٤ – ما روي عن ابن مسعود أنه قال:(إنَّما هي توبة نبي ذكرت ، فكان لايسجد فيها–يعني ص–))(١١٧)

ومنهم من قال : لا سجود في ص إلاَّ لمعنى الشكر لله – تعالى – فيما كان منه إلى نبيه داود – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَ السَّلاَم – من توبته عليه ، فيكون مذهبه ألا سجود فيها إلاَّ لمن قصد هذا المعنى بخلاف حكم سائر سـجود القرآن .

ورأي من قال ذلك : أن ظاهر النصوص السابقة ، وأمر عمر بالسجود فيها : اقتداء بداود – عَلَيْهِ السَّلاَم – لا أنها سجدة التلاوة خاصة .

قال الترمذي : ((واختلف أهل العلم في ذلك : فرأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – وغيرهم أن يسجد فيها ، وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق .

وقال بعضهم : إنها توبة نبي و لم يروا السجود فيها))(١١٨) .

والراجح : أنها ليست من سجدات التلاوة ، وإنَّما سجدة شكر ، لما روي عن أبي سعيد الخدري – رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ – قال : خطبنا رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – يوماً فقرأ ص فلما مرّ بالسـجود تيسـرنا

---

(١١٥) أخرجه البخاري في كتاب أبواب سجود القرآن ، باب سجدة ص (١٢٥٨/٣) .
(١١٦) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٣٨/٣ .
(١١٧) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٣٨/٣ .
(١١٨) سنن الترمذي ، كتاب أبواب الطهارة ، باب ماجاء في السجدة في (ص) ٤٦٩/٢ .

للسجود ، فلما رآنا ، قال : إنَّما هي توبة نبي ولكن أراكم قـد اسـتعددتم للسـجود فـنزل فسـجد وسجدنا(١١٩) .

صفة سجود الشكر :

من كماله أن يكون على هيئة يأخذ فيها كل عضو من البدن بحظه من الخضوع فيجافي بطنه عن فخذيـه ، وفخذيه عن ساقيه ، وعضديه عن جنبيه ،ولايفرشهما على الأرض ليستقل كل عضو منه بالعبودية(١٢٠) ، وكذلك كل سجود .

قال الفقهاء في صفة سجود الشكر : صفة سجود الشكر وأحكامه كسجود التلاوة .

قلتُ : ويُمكن أن نوجز المماثلة والفرق بينهما في الأمور التالية :

١ - الكيفية : كيفية سجود الشكر وسجدة التلاوة واحدة إذا كانت التلاوة خارج الصلاة .

٢ - سجدة التلاوة تفعل داخل الصلاة وخارجها ، والراجح في سجدة الشكر أنها لاتفعل إلاّ خارج الصلاة

٣ - لايرفع الساجد للشكر يديه ؛ لأن اليدين تنحطان للسجود كما يـنحط الوجـه ؛ فهمـا ينحطـان لعبوديتهما ، فأغنى ذلك عن رفعهما وكذلك لم يشرع رفعهما عند رفع الرأس من السجود لأنهما يرفعـان معه قياساً على سجود الصلاة والتلاوة(١٢١) .

٤ - سجود التلاوة آكد من سجود الشكر .

٥ - تفعل سجدة التلاوة على الراجح على الراحلة ، ويكفي فيها الإيماء ؛ لأنّ لها علاقة بالصـلاة وسـببها عارض من أفعال الصلاة ، والصلاة النافلة تفعل على الراحلة ، وأمَّا سجود الشكر فلايفعل على الراحلة على الراجح ؛ لأنه لا علاقة لها بالصلاة ؛ ولأن القصد منه السجود على الأرض فلايكفي فيه الإيماء .

---

(١١٩) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٣٥٤/٢ ، ١٤٨/٣ ، وابن حبان في صحيحه ٣٨/٧ ، والحاكم في المستدرك ٤٢١/١ ، وقال : ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)) ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه الدارمي في سنن ٤٠٧/١ ، والدارقطني في سننه ٤٠٨/١ .

(١٢٠) انظر : الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص ٢١٦ .

(١٢١) انظر : الصلاة وحكم تركها لابن القيم ص ٢٠٩ .

٦ – سجود الشكر يفعل حتى في وقت النهي عن الصلاة ، فقد سجد كعب بن مالك بعد صـلاة الفجـر وقبل طلوع الشمس وكذا التلاوة .

٧ – يشترط لسجدة التلاوة في الصلاة الطهارة المشروطة للصلاة ، وأمَّا خارج الصلاة فلايشترط لها الطهارة على الراجح ، وإنَّما الاشتراط في تلاوة المتعبد من المصحف(١٢٢) ، وإليك تفصيل بعض ذلك :

قال ابن تيمية – رَحِمَهُ اللهُ – : ((ويشرع سجود الشكر منفرداً عن الصلاة ، فإن ابن عباس – رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَا – لما بلغه موت بعض أمهات المؤمنين سجد ، وقال : إن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – أمرنا إذا رأينا آية أن نسجد))(١٢٣) .

قال الإمام يحيى : ((ولايسجد للشكر في الصلاة قولاً واحداً إذ ليس من توابعها))(١٢٤) .

قلتُ : ولأنه لا تعلق له بالصلاة كما سبق ، بخلاف سجود التلاوة(١٢٥) .

قال ابن قدامة : ((لأن سبب السجدة ليس منها))(١٢٦) .

قال في الإنصاف : ((ولايسجد للشكر في الصلاة ، هذا هو المذهب وعليه جماهير الأصحاب وقطع به كثير منهم ، واستحبه ابن الزاغوني فيها واختاره بعض الأصحاب وهو احتمال في انتصار أبي الخطاب كسـجود التلاوة .

وفرق القاضي وغيره بينهما بأن سبب سجود التلاوة عارض من أفعال الصلاة .

فعلى المذهب لو سجد جاهلاً أو ناسياً لم تبطل الصلاة وإن كان عامداً بطلت على الصحيح من المـذهب ، وعند ابن عقيل فيه روايتان : من حمد لنعمة أو استرجع لمصيبة))(١٢٧) .

---

(١٢٢) انظر هذه المسائل في : الروض المربع ٢٣٠/١ ، دليل الطالب ص ٤١ ، والمهذب ٨٧/١ ، والأشباه والنظائر للسيوطي ص ٥٢٠ ، ومنار السبيل ١١٥/١ .
(١٢٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٣/٢١ .
(١٢٤) نيل الأوطار ١٢٩/٣ .
(١٢٥) انظر : الروض المربع ٢٣٠/١ .
(١٢٦) المغني ٣٦٣/١ .
(١٢٧) الإنصاف ٢٠١/٢ ، وانظر في هذه المسألة : الروض المربع ٢٣٠/١ ، والمبدع ٣٤/٢ ، والوسيط للغزالي ٢٠٧/٢ ، والمغني لابن قدامة ٣٦٣/١ ، ودليل الطالب ص ٤١ .

وذهب أبو العباس والمؤيد بالله والنخعي وبعض أصحاب الشافعي إلى أنه يشترط في سجود الشكر شـروط الصلاة(١٢٨) .

واختلف هل يشترط لسجود الشكر طهارة أم لا ؟ ، فقيل : يشترط قياساً على الصلاة ، وقيل : لايشترط ؛ لأنها ليست بصلاة(١٢٩) .

قال الشوكاني : ((وليس في أحاديث الباب ما يدل على اشتراط الوضوء وطهارة الثياب والمكان))(١٣٠)

وعند الشيخ تقي الدين : سجود التلاوة وسجود الشكر خارج الصلاة لايفتقر إلى وضوء ، وبالوضوء أفضل وقد حكى النووي الإجماع على اشتراط الطهارة لسجود التلاوة والشكر(١٣١) .

ومن أدلة من اشترط الوضوء في سجود الشكر :

١ – ما روى البيهقي من حديث الليث عن نافع عن ابن عمر أنه قال لايسجد الرجل إلاّ وهو طاهر(١٣٢) والأثر ضعيف كما ذكر ابن القيم(١٣٣) .

٢ – كان ابن عمر يسجد على وضوء(١٣٤) .

قال ابن القيم : ((وأمّا رواية من روى كان يسجد على وضوء فغلط لأن تبويب البخاري واستدلاله قوله : (والمشتري ليس له وضوء) يدل على أن الرواية بلفظ غير ، وعليها أكثر الرواة))(١٣٥) .

ورجح ابن تيمية عدم اشتراط الطهارة لسجود الشكر ؛ لأنه لايدخل في مسمى الصلاة .

وذكر أدلة منها :

(١٢٨) انظر : نيل الأوطار ١٢٩/٣ ، والمغني ٣٦٣/١ ، والأم ٤٧/١ ، ومواهب الجليل للحطاب ٦٢/٢ .
(١٢٩) انظر : سبل السلام ٢/٢ .
(١٣٠) نيل الأوطار ١٢٩/٣ .
(١٣١) الإنصاف للمرداوي ١٩٣/٢ .
(١٣٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩٠/١ وقال : ((موقوف)) اهـ .
(١٣٣) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٧٢/١ .
(١٣٤) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٧٢/١ .
(١٣٥) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٧٢/١ .

١ – أن الله أخبر عن سجود السحرة لما آمنوا بموسى – عَلَيْهِ السَّلَام – على وجه الرضا بـذلك السـجود والقبول له ، ولا ريب أنهم لم يكونوا متوضئين ، بل لايعرفون الوضوء ، فعلم أن السجود المجرد لله ممَّا يحبه الله ويرضاه ، وإن لم يكن صاحبه متوضئاً ، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه(١٣٦) .

٢ – أنّ هذا سجود إيمان ونظيره سجود الذين أسلموا فاعتصموا بالسجود ، ولم يقبل منهم خالد – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فقتلهم ، فأرسل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – علياً فوداهم بنصف دية ، ولم ينكر عليهم ذلك السجود ، ولم يكونوا قد أسلموا ، ولا عرفوا الوضوء ، بل سجدوا لله سـجود الإسـلام كمـا سـجد السحرة(١٣٧) .

٣ – أنه لايسمى صلاة مطلقاً ، ولهذا لايقال صلاة الشكر فلايدخل في قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((لاتقبل صلاة بغير طهور))(١٣٨) ، ولا في قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((لاتقبل صـلاة مـن أحدث حتى يتوضأ))(١٣٩) .

٤ – أن مقصوده الخضوع والذل لله ؛ ولذلك لما قيل لسهل بن عبدالله التستري : أيسجد القلب ؟ قـال : نعم سجدة لايرفع رأسه منها أبداً(١٤٠) .

والراجح ما قاله ابن تيمية – رَحِمَهُ اللهُ – لعدة أمور ، منها :

١ – أنه لم يرد عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – اشتراط الوضوء لسجود الشكر ، فلم يخبر الصحابة أنه لايفعل إلا بوضوء .

٢ – معلوم أن هذه الأمور تدهم العبد وهو على غير طهارة ، فلو تركها لفاتت مصلحتها .

٣ – أنّ قياس سجود الشكر على الصلاة ممتنع لوجهين :

---

(١٣٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦٦/٣ .

(١٣٧) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٣/٢١ ، ٢٩٣ .

(١٣٨) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة .

(١٣٩) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، باب ماجاء في الوضوء ، ومسلم في كتاب الطهارة ، باب : وجوب الطهارة للصلاة .

(١٤٠) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٧/٢١ .

٤- قالوا : ومن الممتنع أن يكون الله – تعالى – قد أذن في هذا السجود وأثنى على فاعلـه وأطلـق ذلـك وتكون الطهارة شرطاً فيه ، ولايسنها ولايأمر بها رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – أصحابه ولا روي عنه في ذلك حرف واحد .

أحدهما : أنّ الفارق بينه وبين الصلاة أظهر وأكثر من الجامع إذ لا قراءة فيه ، ولا ركوع ، لا فرضاً ولا سنة ثابتة بالتسليم ، ويجوز أن يكون القارئ خلف الإمام فيه ولا مصافة فيه ، وليس إلحاق محل النزاع بصـورة الاتفاق أولى من إلحاقه بصور الافتراق .

قلتُ : هو سجود مجرد والسجود المجرد لايسمى صلاة لا مطلقاً ولا مقيداً(١٤١) .

ثانيهما : أن هذا القياس إنّما يمتنع لو كان صحيحاً إذا لم يكن الشيء المقيس قد فعل على عهد النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – ثم تقع الحادثة فيحتاج المجتهد أن يلحقها بما وقع على عهده من الحوادث أو شملها نصه ، وأمّا مع سجوده وسجود أصحابه وإطلاق الإذن في ذلك من غير تقييد بوضوء فيمتنع التقيد به .

٥ – أن ما استدل به على لزوم الوضوء لسجود الشكر من آثار لا تصح(١٤٢) .

قال ابن تيمية – رَحِمَهُ اللهُ – : ((ويفعل إلى القبلة ، وهذا عمل المسلمين من عهد نبيهم و لم ينقل عن أحد أنه فعله إلى غير القبلة))(١٤٣) .

قلتُ : بل ما تقدم من روايات تدل على أنه كان يستقبل القبلة .

وليس في أحاديث سجود الشكر ما يدل على التكبير(١٤٤) .

وقال المهدي : ((إنه يكبر لسجود الشكر))(١٤٥) .

وقيل : إنه يكون بنية وتكبير(١٤٦) .

(١٤١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٧/٢١ .
(١٤٢) انظر في الأجوبة كلها : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٧٢/١ .
(١٤٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٩٣/٢١ ، وانظر : نيل الأوطار ١٢٩/٣ ، وسبل السلام ٢/٢ .
(١٤٤) انظر : عون المعبود ٣٢٨/٧ ، ونيل الأوطار ١٢٩/٣ .
(١٤٥) سبل السلام ٢/٢ ، وانظر : نيل الأوطار ١٢٩/٣ .
(١٤٦) انظر : السيل الجرار للشوكاني ٢٨٧/١ .

قال الشوكاني : ((و لم يرد أنه كبر ولا أنه سلم ، فالمشروعية تتم بمجرد فعل السجود))(١٤٧) .

ولعل الساجد شكراً لله يكبر عند سجوده ؛ لأن سجود الشكر من الأمور الكبيرة والعظيمة ، والتكبير مشروع عند كل أمر كبير من مكان وزمان وحال ورجال ، والله – تعالى – يقول فيما يرويه عنه نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ،فمن نازعني واحداً ألقيته في النار))(١٤٨) ولفظ مسلم : ((العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته))(١٤٩) .

والله جمع بين التكبير والشكر في قوله – تعالى – : { وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }(١٥٠) ، وفي قوله : { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ }(١٥١) فإن الهداية اقتضت التكبير عليها فضم إليه قرينة وهو التهليل والنعمة اقتضت الشكر عليها فضم إليه أيضاً التحميد(١٥٢) .

وأمَّا التسليم فلم تدل عليه الأحاديث والروايات السابقة كما ذكر الشوكاني آنفاً ، ولكن ذكر ابن تيمية أن المختار فيه تسليمة واحدة(١٥٣) .

لكن لعل ذلك مباح فإن شاء كبر لأنه لم يرد نهي عن ذلك وإن شاء لم يكبر ؛ لأنه لم يرد في فعل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ولا حث عليه ، والله أعلم .

ماذا يقال في سجدة الشكر ؟ :

لم يرد في الأحاديث ما كان يقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في سجود الشكر ، ولكن :

قال بعض العلماء : ينبغي أن يستكثر من شكر الله – عَزَّ وَجَلَّ – لأن السجود سجود الشكر(١٥٤) .

---

(١٤٧) السيل الجرار ٢٨٦/١ .

(١٤٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٢٩/٥ ، والذهبي في الكبائر ص ٧٧ ، والقضاعي في مسند الشهاب ٣٢١/٢ .

(١٤٩) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكبر .

(١٥٠) سورة البقرة : من الآية ١٨٥ .

(١٥١) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(١٥٢) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، ٢٤٠ .

(١٥٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٧٥/٨ .

(١٥٤) السيل الجرار للشوكاني ٢٨٦/١ .

قلتُ : في بعض الروايات السابقة أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما رأى زنيم سجد وقال : ((الحمد لله الذي لم يجعلني مثل هذا)) .

ولما رأى النغاش خرّ ساجداً ثم قال : ((أسأل الله العافية)) .

وعلي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – لما رأى ذا الثدية خرّ ساجداً فقال : ((والله ما كذبت ولا كذبت)) .

وفي حديث أبي سعيد في سجدة (ص) : ((اللهم اغفر لي بها ، اللهم حط عني بها وزراً ، وأحدث لي بها شكراً ، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته)) :

وهذا يدل على أنه يقول في سجدة الشكر ما يناسب ما سجد بسببه ، والله أعلم .

هل يكون سجود الشكر لمجرد الاستغفار ؟:

لم يرد في هذا شيء ، وليس في حديث ابن عباس أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – سجد في (ص) وقال : ((سجدها داود توبة ونسجدها شكراً)) ما يدل على مشروعية السجود للاستغفار ؛ لأنّ ذلك هو بيان لمشروعية سجدة التلاوة في (ص) ، وأنّ داود – عَلَيْهِ السَّلَامَ – فعلها للتوبة و لم يفعلها النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – للتوبة ، بل قال : ((ونسجدها شكراً فلم يقرر النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – سجود التوبة من داود بل خالفه فليس ذلك من شرع من قبلنا كما زعمه البعض ؛ لأنّ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – لم يقرره ، وغاية ما في الحديث أنه يحسن السجود في (ص) شكراً عند تلاوة الآية أو سماعها ، ولكنه قد ورد أن السجود هو مقام القرب من الرب – سبحانه – كما في الحديث الصحيح : ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)) فمن قصد إيقاع دعائه في هذا المقام أو استغفاره فقد وفق للصواب ، وتعرض لنفحات الرحمن في المقام الذي أخبرنا الصادق المصدوق – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – أن العبد أقرب إلى ربه فيه من سائر المقامات التي يكون العبد عليها كالقيام والقعود والاضطجاع ، فمن فعل السجود عند دعائه قاصداً به هذا المقصد مريداً به هذه الإرادة فنعم ما فعل لاستمرار في فعل سجدة الشكر :

نعم الله على عباده لاتزال واردة عليه في كل لحظة ، فهل يسجد العبد باستمرار كلما وردته نعمة أو دفعت عنه نقمة ؟ ، قال بعض العلماء : السجود عند النعم المتجددة التي يُمكن وصولها إلى العبد أو عدم وصولها ؛

ولهذا النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – لم يسجد إلاَّ عند تجدد تلك النعم مع استمرار نعم الله – سبحانه وتعالى – عليه وتجددها في كل وقت))(١٥٥) .

وهل يستحب إظهاره أم إخفاؤه ؟ :

قال الإمام النووي : ((وإذا سجد لنعمة أو اندفاع بلية بغيره استحب إظهار السجود ، وإن سجد لبلية في غيره وصاحب البلية غير معذور كالفاسق أظهر السجود بين يديه لعله يتوب وإن كان معذوراً كصاحب الزمانة أخفاه لئلا يتأذى))(١٥٦) .

قال الهيتمي : ((ويسن لرؤية فاسق متظاهر بفسقه ، ومنه الكافر قياساً على سجوده – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لرؤيته المبتلى ، ومصيبة الدين أشد من مصيبة الدنيا ، فطلب منه السجود شكراً على السلامة من ذلك ، ويظهرها للمتظاهر المذكور حيث لم يخف منه فتنة أو مفسدة لعله يتوب))(١٥٧) .

وذكر أنه يستحب للمسلم إذا رأى مبتلى في نحو بدنه أو عقله فإنه يشكر سراً ندباً ، لئلا يتأذى المبتلى بالإظهار ، قال القاضي وغيره : يسأل الله العافية(١٥٨) .

هل يسجد للشكر لأمر يخصه أم لأمر يخص عامة الناس ؟ :

قيل : إنَّما يسجد لأمر يخصه ، وجزم بهذا بعضهم(١٥٩) .

وقيل : يسن سجود الشكر لتجدد نعمة أو دفع نقمة عامتين للناس أو خاصتين(١٦٠) .

قلتُ : الأصح – والله أعلم – الثاني .

ولو تعددت الأسباب قبل السجود ، كفاه سجود واحد للجميع ، وكذلك لو اختلفت الأسباب ، كأن هجمت النعمة عند رؤية المبتلى والعاصي(١٦١) .

---

(١٥٥) السيل الجرار ٢٨٦/١ .
(١٥٦) روضة الطالبين ٣٢٤/١ ـ ٣٢٥ ، وانظر : الوسيط للغزالي ٢٠٧/٢ ، والإنصاف ٢٠١/٢ ، والمبدع ٣٤/٢
(١٥٧) المنهج القويم للهيتمي ٢٧٤/٢ ـ ٢٧٥ .
(١٥٨) انظر : الإنصاف ٢٠١/٢ .
(١٥٩) انظر : الإنصاف ٢٠٠/٢ .
(١٦٠) انظر : الإنصاف ٢٠٠/٢ .
(١٦١) انظر : نهاية الزين للجاوي ص ٨٨ .

وقيل : يتعدد بتعدد أسبابه ، وبتعدد رؤية النعمة أو النقمة(١٦٢) .

ما يحرم منه :

ومِمَّا يحرم من سجود الشكر : السجود من غير سبب ولو بعد الصلاة ، فلو سجد إنسان بعد الصلاة شكراً لله على تمامها ، فهذا ليس من أسباب سجود الشكر ، وفعل الصلاة وإتمامها على وفق ما ورد في الشرع شكر .

كما يحرم بركوع مفرد ونحوه ؛ لأنه بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

ومن أشد ما يحرم من سجود الشكر: ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ ،ولو إلى القبلة ، أو قصده لله – تعالى – لتمكنه من الوصول إلى الشيخ أو غير ذلك من المقاصد التي لم ترد في الشـرع بـل ينهى عنها ، ويرهب منها .

وقد يكون في بعض صوره ما يقتضي الكفر – والعياذ بالله من ذلك(١٦٣) – .

صلاة الشكر :

وليس هناك صلاة تسمى صلاة الشكر(١٦٤) ، إلاَّ أن بعض العلماء قال : يسن مع سجدة الشكر – كما في المجموع – الصدقة والصلاة للشكر(١٦٥) .

قال الخوارزمي(١٦٦) : ((لو أقام التصدق أو صلاة ركعتين مقام السجود كان حسناً))(١٦٧) .

قلتُ : أخرج ابن ماجه حديثاً بهذا السند قال : حدثنا أبو بشر بكر بن خلف ، ثنا سلمة بن رجاء ، حدثني شعثاء عن عبدالله بن أبي أوفى أنّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – صلى يوم بشر بـرأس أبي جهـل ركعتين(١٦٨) .

---

(١٦٢) انظر : نهاية الزين للجاوي ص ٨٨ .

(١٦٣) انظر : مغني المحتاج ٢١٩/١ .

(١٦٤) انظر : حواشي الشرواني ٤٥٦/٣ .

(١٦٥) انظر : مغني المحتاج للشربيني ٢١٩/١ .

(١٦٦) هو : أبو محمد محمود بن محمد بن العباس بن رسلان الخوارزمي العباسي الشافعي ، تفقه على الإمام البغوي ، كان عارفاً بالمتفق والمختلِف ، من تصانيفه في الفقه : الكافي ، توفي سنة ٥٦٨ هـ . طبقات الشافعية ١٩/٢

(١٦٧) مغني المحتاج ٢١٩/١ .

(١٦٨) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في الصلاة والسجدة عند الشكر ٤٤٥/١ .

قال ابن القيم – رَحِمَهُ اللهُ –:((فهذا إن صح فهي صلاة الشكر وقعت وقت الضحى كشكر الفتح))(١٦٩) .

قال في الزوائد : ((في إسناده شعثاء ، و لم أرَ من تكلم فيها لا بجرح ولا بتوثيق ، وسلمة بن رجاء ليّنه ابن معين . وقال ابن عدي : حدث بأحاديث لايتابع عليها . وقال النسائي : ضعيف . وقال الدارقطني : ينفرد عن الثقات بأحاديث . وقال أبو زرعة : صدوق . وقال أبو حاتم : ما بأحاديثه بأس . وذكره ابن حبان في الثقات))(١٧٠) .

قلتُ : الحديث لايصل إلى مستوى اعتماده في الأحكام وليس له شواهد تقويه فيما أعلم ، بل لقد ذكر موقوفاً على عبدالله بن أبي أوفى وأن الركعتين من فعله لا من فعل الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١٧١).

وأمَّا ما أورده المروزي في تعظيم قدر الصلاة ، وهو ما ذكر أنّ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما أنعم الله عليه بفتح مكة اغتسل وصلى ثمان ركعات شكراً لله – عَزَّ وَجَلَّ(١٧٢) – .

فلم أجده عند غيره ، و لم أجد من العلماء من اعتمد عليه في إقامة صلاة الشكر .

وإن كانت الصلاة من أفعال وأعمال الشكر ، فقد سئل محمد بن منصور : ((إذا أكلت وشبعت فما شكر تلك النعمة ؟ قال : أن تصلي حتى لايبقى في جوفك شيء))(١٧٣) .

نتائج البحث

من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث على سبيل الاختصار :

١ – أنه عبادة شرعت بفعل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

٢ – أن فعله في مواضعه سنة واقتداء بالنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

---

(١٦٩) زاد المعاد ٣٥٦/١ .
(١٧٠) سنن ابن ماجه ٤٤٥/١ (دار الفكر) .
(١٧١) انظر : زاد المعاد ٣٥٦/١ .
(١٧٢) تعظيم قدر الصلاة ٢٤٠/١ .
(١٧٣) سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٢ .

٣ – أن سجود الشكر لايكون في كل وقت إنّما يسن عند هجوم نعمة – أي ورودهـا – مـن حيـث لايحتسب – وفي وقت لم يتيقن وجودها فيه ، وإن كان متوقعاً لها ، كما في قصة كعب بن مالك السابقة ، فقد كان ينتظر الفرج .

فإن قيل : فنعم الله دائماً مستمرة على العبد فما الذي اقتضى تخصيص النعمة الحادثة بالشكر دون الدائمـة ، وقد تكون المستدامة أعظم ؟ .

قيل : الجواب من وجوه :

أحدها : أن النعمة المتجددة تذكر بالمستدامة والإنسان موكل بالأدنى .

الثاني : أن هذه النعمة المتجددة تستدعي عبودية مجددة ، وكان أسهلها على الإنسان وأحبها إلى الله السجود شكراً له .

الثالث : أن المتجددة لها وقع في النفس والقلوب بها أعلق ، ولهذا يهنأ بها ويعزى بفقدها .

الرابع : أن حدوث النعم توجب فرح النفس وانبساطها ، وكثيراً ما يجر ذلك إلى الأشر والبطر ، والسـجود ذُلّ لله وعبودية وخضوع ، فإذا تلقى به نعمته لسروره وفرح النفس وانبساطها فكان جديراً بـدوام تلـك النعمة ، وإذا تلقاها بالفرح الذي لايحبه الله والأشر والبطر كما يفعله الجهال عندما يحدث الله لهم من الـنعم كانت سريعة الزوال وشيكة الانتقال ، وانقلبت نقمة ، وعادت استدراجاً ، فإن الله إذا أحدث بعبده نعمـة أحب أن يحدث لها تواضعاً(١٧٤) .

٤ – سرور النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – وسجوده شكراً لله إنّما يكون بما يحبه الله ، ويعز به الإسلام ، وليس بالشهوات والملذات الدنيوية ، ولا بما يكرهه الله أو يبغضه ، فالنعمة التي يشكر الله عليها هي كل مـا كان عوناً على طاعة الله ، وسبباً في إعزاز ونصرة ورفعة دين الله .

٥ – أن من شكر الله بالجوارح : سجود الشكر ، وفعل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – له ، يدل على أنه عبادة ، وأنه من شكر الله الذي قال الله عنه : { لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ }(١٧٥) .

(١٧٤) انظر : عدة الصابرين ص ١١١ ـ ١١٢ .
(١٧٥) سورة إبراهيم : من الآية ٧ .

قال ابن القيم-رَحِمَهُ اللهُ-:((لايكتمل الشكر إلاّ بالأعضاء مع اللسان لأن من شكر بلسانه و لم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه و لم يلبسه فما ينفعه ذلك من الحر والبـــرد والثلج والمطر))(١٧٦) .

وهو من توحيد العبادة الذي بعث به محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

٦ – أنه من السنن والمعاني والعبادات المستحبات المفقودة في هذا الزمان وإن عُمل فقد لايكون على وفـق فعل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ولايكون الساجد في دافعه ومقصده موافقاً لسنة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وشكر نعمه وفضله،أو يكون شكره وسجوده في تحقق معصية أو ما يعينه على المعصية ، فإن ذلك بدعة محدثة باطلة .

٧ – بيان عظم السجود ومترلته من العبادة ، وإكرام الله لمواضع السجود في العبد .

٨ – أنني لم أجد فيما صح عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صلاة مخصوصة تسمى صلاة الشكر وكل فعل لم يفعله النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أو يدعو إليه أو يأمر به أو يرغب فيه ، أو يكون له نظير يقاس عليه أو تجمع الأمة عليه فليس من السنة فعله ؛ بل تركه أولى ، والله أعلم .

٩ – أن سجود الشكر من العبادات أو الأفعال التي ينبغي ألا تكون إلاّ لله وحده ، لا شريك له ، فهو مـن نوع السجود الذي هو غاية ما يتوصل العبد به إلى رضا الرب ، فلايصلح إلاّ له – سبحانه – ، وهو مـن خصائص الإلهية ؛ لأن من سجد لغير الله فقد شبه المخلوق به .

١٠ – أن سجود الشكر يدل على شدة الخضوع لعظمة الله ، شكراً له على فضله ومنه وكرمه في الخلـق والرزق والحفظ والثواب ، وعلى تذكير النفس من الغفلة والإعراض والاستكبار ، وهذا معنى قول مسروق لسعيد بن جبير – رَحِمَهُمَا اللهُ – : ((ما بقي شيء يرغب فيه إلاّ أن نعفر وجوهنا في التراب له))(١٧٧)

---

(١٧٦) عدة الصابرين ص ١١٠ .

(١٧٧) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ٣٤٩/٢ ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٨٠/٦ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩٦/٢ ، وذكر العجلي في معرفة الثقات في ترجمة مسروق ٢٧٣/٢ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٦٦/٤

١١ - أن صفته وهيئته كصفة سجود التلاوة وهيئتها غير أنه لايشترط له طهارة ، ولايفعل داخل الصلاة ، ولايفعل على الراحلة ، يستحب إظهاره ، يتعدد بتعدد أسبابه ما لم تكن في وقت واحد ، يفعله العبد لأمر يخصه ، أو يخص عامة المسلمين ، والله أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

إبراهيم بن ضويان : منار السبيل في شرح الدليل : تحقيق : عصام القلعجي ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، مكتبة المعارف بالرياض .

ابن أبي الدنيا : الشكر : تحقيق : بدر البدر ، المكتب الإسلامي بالكويت ، ١٤٠٠ هـ .

ابن أبي شيبة : المصنف : تحقيق : كمال الحوت ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، مكتبة الرشد بالرياض .

ابن أبي عاصم : الزهد : تحقيق : عبدالعلي عبدالحميد ، ط ٢ ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٨ هـ .

ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط ٢ ، ١٣٦٩ هـ ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

ابن الجعد ، علي:مسند ابن الجعد : تحقيق : عامر أحمد حيدر ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ، مؤسسة نادر ، بيروت

ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي : التحقيق في أحاديث الخلاف : تحقيق : سعد السعدني ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

ابن حجر ، أحمد بن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري : تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ببيروت ، ١٣٧٩ هـ .

ابن حزم ، علي بن أحمد بن حزم : المحلى : تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجريدة ببيروت .

ابن حنبل ، الإمام أحمد : المسند : المكتب الإسلامي للطباعة ، نشر : دار الفكر ببيروت .

ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق : صحيح ابن خزيمة : تحقيق : محمد الأعظمي ، ١٣٩٠ هـ ، المكتب الإسلامي ببيروت .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر :
- إغاثة اللهفان : تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هــ ، دار المعرفة ببيروت .
- بدائع الفوائد : تحقيق : هشام عطا ، وصاحبيه ، مكتبة الباز بمكة المكرمة ، ١٤١٦ هــ .
- الجواب الكافي : دار الكتب العلمية ببيروت .
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : ط ٢ ، ١٤١٥ هــ ، دار الكتب العلمية ببيروت .
- زاد المعاد : تحقيق : شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ١٤٠٧ هــ ، ط ١٤ .
- شفاء العليل : تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي ، دار الفكر ببيروت ، ١٣٩٨ هــ .
- الصلاة وحكم تاركها : تحقيق : بسام الجابي ، ط ١ ، ١٤١٦ هــ ، دار ابن حزم ببيروت .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : تحقيق : زكريا علي يوسف ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت .
- مدارج السالكين : تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هــ ، نشر : دار الفكر العربي ببيروت .
- مفتاح دار السعادة : دار الكتب العلمية - بيروت .

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : دار الفكر - بيروت ، ١٤٠١ هــ .

ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن زيد بن ماجه : سنن ابن ماجه : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

ابن منظور ، أبو الفضل : لسان العرب : دار صادر بيروت .

ابن همام ، عبدالرزاق بن همام : المصنف : تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هــ ، المكتب الإسلامي ببيروت .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث : سنن أبي داود : تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ببيروت .

الأصبهاني ، أبو نعيم : حلية الأولياء : ط ٤ ، ١٤٠٥ هــ ، دار الكتاب العربي ببيروت .

البخاري ، محمد بن إسماعيل : الجامع الصحيح المختصر : تحقيق : مصطفى البغا ١٤٠٧ هــ ، دار ابن كثير واليمامة .

البستي ، محمد بن حبان : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ١٤١٤ هــ .

البصري ، محمد بن سعيد : الطبقات الكبرى : دار صادر ببيروت .

البكري ، أبو عبيد عبدالله : معجم ما استعجم : تحقيق : مصطفى السقا ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ ، عالم الكتب ببيروت .

البهوتي ، منصور : الروض المربع : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٩٠ هـ ، الرياض .

البهوتي ، منصور : كشاف القناع على متن الإقناع : تحقيق : هلال مصيلحي ، ١٤٠٢ هـ ، دار الفكر ببيروت .

البيهقي : السنن الكبرى : تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مكتبة دار الباز بمكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ .

الترمذي ، محمد بن عيسى : الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبدالباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، نشر المكتبة الإسلامية .

الجهضمي ، إسماعيل الجهضمي المالكي : فضل الصلاة على النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٣ ، ١٣٩٧ هـ ، المكتب الإسلامي ببيروت .

الحجاوي ، محمد بن عمر : نهاية الزين في إرشاد المبتدئين : ط ١ ، دار الفكر ببيروت .

الحموي ، ياقوت : معجم البلدان : دار الفكر ببيروت .

الحنبلي ، إبراهيم بن مفلح : المبدع في شرح المقنع : المكتب الإسلامي ببيروت ، ١٤٠٠ هـ .

الحنبلي ، مرعي : دليل الطالب : ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ ، المكتب الإسلامي ببيروت .

الحنبلي ، موسى : زاد المستقنع : تحقيق : علي الهندي ، مكتبة النهضة الحديثة .

الحنطي ، أبو المحاسن يوسف : المعتصر من المختصر من مشكل الآثار : عالم الكتب ومكتبة المتنبي ببيروت والقاهرة .

الخرائطي ، محمد بن جعفر الخرائطي : فضيلة الشكر على نعمته : تحقيق : محمد قطيع وعبدالكريم الباقي ، دار الفكر بدمشق ، ١٤٠٢ هـ .

الدارقطني ، علي بن عمر : سنن الدارقطني : تحقيق : السيد عبدالله هاشم يماني ، ١٣٨٦ هـ ، دار المعرفة ببيروت .

الدارمي ، عبدالله : سنن الدارمي : تحقيق : فواز زمرلي ، وخالد العلي ، دار الكتاب العربي ببيروت .

الدمياطي ، السيد البكري : إعانة الطالبين : دار الفكر ببيروت .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد :

- التلخيص على هامش المستدرك :
- سير أعلام النبلاء : مؤسسة الرسالة .
- الكبائر : دار الندوة ببيروت .

الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح : دار الفكر ببيروت .

الزمخشري ، محمود : الفائق في غريب الحديث : تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبـو الفضـل ، ط ٢ ، دار المعرفة ببيروت .

السيوطي ، عبدالرحمن : الأشباه والنظائر : ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

الشاطبي ، إبراهيم اللخمي الشاطبي المالكي : الموافقات في أصول الفقه : تحقيق : عبدالله دراز ، دار المعرفـة ببيروت .

الشافعي ، محمد بن إدريس :

- الأم : تحقيق : محمد زهري النجار ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ ، دار المعرفة ببيروت .
- السنن المأثورة : تحقيق : عبدالمعطي قلعجي ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، دار المعرفة .

الشربيني ، محمد : مغني المحتاج : دار الفكر ببيروت .

الشرواني ، عبدالحميد : حواشي الشرواني على تحفة المحتاج : دار الفكر ببيروت .

الشوكاني ، محمد بن علي :

- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار : تحقيق : محمود إبراهيم زايـد ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار : دار الجيل ببيروت ١٩٧٣ م .

الشيرازي ، إبراهيم بن علي : المهذب في فقه الإمام الشافعي : دار الفكر ببيروت .

الصنعاني ، محمد بن إسماعيل : سبل السلام شرح بلوغ المرام : تحقيق : محمد عبـدالعزيز الخـولي ، ط ٤ ، ١٣٧٩ هـ ، دار إحياء التراث العربي ببيروت .

العجلي ، أحمد بن عبدالله : معرفة الثقات : تحقيق : عبدالعليم عبدالعظيم البستوي ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

العظيم آبادي ، محمد شمس الحق : عون المعبود شرح سنن أبي داود : ط ٢ ، ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

العكبري ، أبو البقاء : المشوف المعلم في ترتيب الاصطلاح على حروف المعجم : نشر : جامعة أم القرى .

الغزالي ، محمد بن محمد : الوسيط في المذهب الشافعي : تحقيق : أحمد محمود ومحمد محمد ثـامر ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، دار السلام بالقاهرة .

الفيروزآبادي : القاموس المحيط : تحقيق : محمد العرسوسي ، ط ٥ ، ١٤٠٦ هـ ، مؤسسة الرسالة ببيروت

الفيومي ، أحمد المقرزي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : توزيع : دار الباز بمكة .

القاسم ، عبدالرحمن : مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع : عبدالرحمن القاسم ، ط : رئاسة الحرمين .

القشيري ، مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم بن الحجاج القشيري : تحقيق : محمد فؤاد عبـدالباقي ، دار الفكر ببيروت ، ١٣٩٨ هـ .

القضاعي ، محمد بن سلامة : مسند الشهاب : تحقيق : حمدي السلفي ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، نشـر : مؤسسة الرسالة ببيروت .

القفال ، محمد الشاشي : حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء : تحقيق : د . ياسين أحمد إبراهيم درادكة ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، مؤسسة الرسالة ودار الأرقم ، بيروت ، عمان ، الأردن .

مالك بن أنس : المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس ، دار صادر ببيروت .

المباركفوري ، محمد : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : دار الكتب العلمية ببيروت .

المحاملي ، الحسين بن إسماعيل الضبي : أمالي المحاملي رواية ابن يحيى البيع : تحقيق : د . إبراهيم القيسـي ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، المكتبة الإسلامية ودار ابن القيم ، الأردن والدمام .

المرادي ، علي : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف : تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار إحياء التـراث العربي ببيروت .

المروزي ، عبدالله بن المبارك : الزهد : تحقيق : عبدالرحمن الفريوائي ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي .

المروزي ، محمد بن نصر : تعظيم قدر الصلاة : تحقيق : د . عبدالرحمن الفريوائي ، ط ١ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

المغربي ، محمد بن عبدالرحمن : مواهب الجليل لشرح مختصر خليل : ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ ، دار الفكر ببيروت .

المقدسي ، ضياء الدين ، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد : الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مِمَّا لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ط ١ ، عام ١٤١٢ هـ، مكتبة النهضة الحديثة ، بمكة المكرمة ، دراسة وتحقيق : د . عبدالملك بن دهيش .

المقدسي ، عبدالله بن أحمد بن قدامة : المغني : ط ١ ، دار الفكر ببيروت ، ١٤٠٥ هـ .

الموصلي ، أحمد بن علي : مسند أبي يعلى : تحقيق : حسين سليم أسد ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، نشر : دار المأمون للتراث بدمشق .

النسائي ، أحمد بن شعيب :

- السنن (المجتبى) : تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب
- السنن الكبرى : تحقيق : د . عبدالغفار البنداري وسيد كسروي ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف :

- تهذيب الأسماء واللغات : دار الكتب العلمية ببيروت .
- روضة الطالبين وعمدة المفتين : المكتب الإسلامي ببيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- شرح صحيح مسلم : ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ ، دار إحياء التراث العربي ببيروت .

النيسابوري ، أبو عبدالله الحاكم : المستدرك على الصحيحين : وبذيله التلخيص للإمام الذهبي ، توزيع مكتبة المعارف بالرياض .

الهيثمي : المنهج القويم : ......

الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : مؤسسة المعارف ببيروت .